

Dirassat & Abhath

The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث

المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363

ISSN : 1112-9751

النهضة الحضارية الحديثة في فكر مالك بن نبي

(تجربة النهضة الماليزية أنموذجا)

The Modern Cultural Renaissance in the thought of Malek Ibn Nabi

(Experience of the Malaysian Culture Model)

مساهل سعاد

MESSAHEL Souad

جامعة الجيلالي اليابس - سيدي بلعباس

Université DJILLALI LAIBES de SIDI BEL - ABBES

sousou1487@gmail.com

تاريخ القبول : 2018-11-22

تاريخ الاستلام : 2018-08-05

ملخص:

يعتبر الفكر الحضاري للمفكر الجزائري مالك بن نبي فلسفة قوية الأبعاد في بناء العديد من النهضة العربية والإسلامية، وغيرها من النهضة غير الإسلامية والعربية، إذ أن المفكر مالك بن نبي يعتمد في بناء الحضاري على بناء العقل الذي يبني الحضارة بعيدا عن جميع التبعيات والضغوطات الخارجية، لذا فهو يرى أن نظام العولمة هو نظام التبعية الحضارية لا غير وعلى هذا الأساس بنت ماليزيا حضارتها ببناء العقل الماليزي أولا وتشكيل ذاتية التسيير والإنتاج.

كلمات مفتاحية:

الحضارة، النهضة، البناء الفكري، الحضارة الماليزية، التنمية.

Abstract:

The intellectual thought of Algerian thinker Malik bin Nabi is a powerful philosophy in the construction of many Arab and Islamic renaissance, and other non-Islamic and Arab revolutions. The intellectual Malik bin Nabi depends on building his civilization to build the mind that builds civilization away from all external dependencies and pressures. He believes that the system of globalization is a system of cultural dependency, and on this basis Malaysia built its civilization by building the Malaysian mind first and forming self-management and production.

Key words :

Civilization, Renaissance, the intellectual construction, Malaysian Civilization, development

بن نبي ما زال مستقبل مفتوحا عن المزيد منها وخاصة تجدد الهم الإسلامي استمرار محنة الأمة الإسلامية في معاناتها الحضارية أشواق الأجيال الجديدة بأن ترى أمتها ناهضة قوية تزاغم في نهوض الحضارة تسبق الذين سادوا العالم.

فهل ما زالت المشكلات التي طرحها مالك في المجتمع حاضر في الواقع الحالي؟ هل المعدات التي قدمها مالك لصناعة الحضارة الإسلامية من جديد ما زالت صحيحة ناجحة؟ ما هو السر الكبير

1. مقدمة:

ما زال المفكر الجزائري الراحل الكبير مالك بن نبي (رحمه الله) يثير بأفكاره قضايا، رغم رحيله من سنوات طويلة عن عالمنا وذلك لما من آراءه أفكاره حول النهضة الحضارة شروط البناء الحضاري الإسلامي الجديد من جاذبيته وجديته رأيه جديدة انفرد بها بين أبناء جيله من المفكرين الإسلاميين غير المسلمين، كذلك مئات الدراسات عشرات من رسائل الماجستير الدكتوراه، أنجزت عن مالك

- والثانية: تخطط تنتج وفق منيح فني تطبق فيه قوانين الكيمياء الحيوية الديناميكية الخاصة أثناء التكوين التطوير حال الصين اليابان وروسيا، ولكن كيف تبدو الحياة الإنسانية مهددة بتدمير الإنسان عن طريق تدمير خصائصه الإنسانية، في ظل الحضارة القائمة وعلى امتداد الخط الذي تسير فيه الحياة الإنسانية اليوم، بصفة عامة الأمر الذي يجعل قيام المجتمع الإسلامي ضرورة، وحثمية فطرية؟ لعله أن يكتشف هذا الإنسان أهم العناصر المساوية في اختصار⁽⁴⁾:

1- جهلنا المطبق بالإنسان -على الرغم من سعة علمنا نسبيا بالمادة، وبطرائق التصنيع المادية - القائمة على أصول فنية راقية. ومن ثم عدم استطاعتنا أن نضع له نظاماً شاملاً لجوانب حياته كلها .

2- قيام حضارة مادية لا تلائم الإنسان، ولا تحترم خصائص تعامله بالمقاييس الآلية - التي هي في دائرة علمنا ومعرفتنا المتقدمة - بالمقاييس الحيوانية، التي أمكن دراستها في عالم الحيوان!

3- بروز آثار هذه الحضارة وتضخمها في الأمم التي وصلت إلى قمة الحضارة المادية، وسارت شوطاً بعيداً في تطبيق المنهج الآلي الحيواني على الحياة الإنسانية، باعتبار هذه الخصائص الإنسانية الأصلية التي تفرق (الإنسان) و(الآلة) و(الحيوان).

إن تنظيم المجتمع حياته حركته، بل فوضاه خموده ركوده، كل هذه الأمور ذات علاقة وظيفية بنظام الأفكار المنتشرة في ذلك المجتمع، وإن الأفكار تكون في مجموعها جزءاً هاماً من أدوات التطور في مجتمع معين، كما أن مختلف مراحل تطوره هي في الحقيقة أشكال متنوعة لحركة تطوره الفكري⁽⁵⁾، ويقول سان سيمون إن الناس كانوا أول الأمر أشتاتاً متفرقين، ثم نشأت الأسر وتجمع بعضها إلى البعض ونشأت الجماعات الإنسانية البدائية، ظلت تعيش على الحالة البدائية دهوراً طويلة توصلت خلالها من اختراع أو اقتباس أساسيات الاستقرار والحياة المستقرة، من الحالة الزراعية إلى الحالة الصناعية، وهذه الحالة يسميها سان سيمون ومن تابعه بحالة سفح الجبل، وقد تظل الجماعة على هذه الحالة إلى يومنا هذا ولا تنتقل إلى ما هو أعلى منها أبداً.

وهناك جماعة تحاول كل مرة بعد مرة الاستمرار في الصعود وأثناء صعودها أو تقدمها الحضاري قد تصل إلى طريق مسدود فتقت من جديد. أزماناً قد تطول وقد تقصر، وربما امتدت إلى مالا نهاية ويكون هذا أعلى ما تصل إليه، ويكون هذا الوقوف عادة على هضبة أو سفح⁽⁶⁾، ونلخص من هذا القول أن الحضارة ظاهرة إنسانية عامة، فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يرتقي ويعمل على تحسين أحوال نفسه بفضل ما أهداه الله من عقل، وإذا أردنا مقارنة الحضارات مقارنة صحيحة ونسبية (وكل شيء هنا

الدائم بأفكار مالك بن نبي من مفكرين علماء من مصر الشام المغرب العربي ماليزيا، من أين أتت هذه العالمية لأفكاره. لماذا لم نقرأ نسمة عن شخصيات أو كتابات أكملت رسالة مالك أو أضافت أفكاره أو نمتها. ماهي أزمة الحضارة في العالم الإسلامي؟ كيف لعبت أفكار مالك بن نبي في الحضارة الماليزية؟

2. الحضارة بمنظور مالك بن نبي:

ينطلق مالك بن نبي في مؤلفاته المتعددة من وحدة تحليل أساسية هي الحضارة باعتبارها النقطة البعيدة التي ينبغي أن يؤول إليها كل تغير اجتماعي إيجابي قد ناقشها من زوايا عدة، من حيث جوهرها مبداً باعتبارها وحدتها وعلاقتها بمنتوجاتها من حيث تركيبها ووظيفتها⁽¹⁾.

وتعتبر الحضارة الناتج الحاصل ضرورة عن حركة المجتمع، وهي حركة شاملة في مجال الفكر والاقتصاد، في رحاب التوازن الروحي المادي، من دون هذه المسألة لن يكون المجتمع مجتمعاً.

(فهذا التحديد الوظيفي يجعل الحضارة تتمثل في جانبيين: الجانب الذي يتضمن شروطها المعنوية، في صورة إرادة تحريك المجتمع نحو تحديد مهماته الاجتماعية الاضطلاع بها، الجانب الذي يتضمن شروطها المادية، في صورة إمكان، أي أنه يضع تحت تصرف المجتمع الوسائل الضرورية للقيام بمهامه، أي بالوظيفة الحضارية⁽²⁾)

3. البناء الحضاري من منطلق فكر مالك بن نبي:

بدأ العصر الحديث أو الحقبة الحضارية الجديدة بحركات الإصلاح النهضة التنوير، وكان انتصار الإنسان هنا بداية لتطور العلم والثقافة الحركة العلمانية إيذاناً بتبعات الحركة القومية التطور الاقتصادي.

ولعل بؤرة الصراع محور النهضة هو تأكيد قيمة الإنسان فعاليته الإيجابية في شؤون الحياة، تحرر الإنسان من قيد التعبية لرجال الكنيسة نهج نهجا جديداً في تحصيل المعرفة ليتخذ منها عدة وزاد لبناء حياة أفضل⁽³⁾.

ويميز مالك بن نبي بين الحضارة الشيئية الحضارة الحديثة:

- فالأولى: تشتري الأشياء العديدة تكديسها ولا تستفيد منها، وهذا حال العالم الإسلامي.

فالحضارة يصفها مالك بن نبي بأنها تاريخ الإنسان بعد أن تمدده الطبيعة بالطاقات توجهها نحو أهداف محددة واضحة.

وإن العالم العربي الإسلامي في نظر مالك بن نبي يملك القدرات التي تؤهله لإنقاذ البشرية، لذلك يجب التخلص من الواقع المتخلف الذي يفرضه الارتباط بالغرب لأية ثقافة تبعد كل إنسان عن طابعه التقدمي هو الإسلام، فإن للإسلام دورا كبيرا في هذا التوقع العالمي لتحديد ثقافة شاملة، لأنه يأتي بعناصر جديدة جوهرية للثقافة، فإن موقف الإنسان من الحضارة وأدوات التعرف تحده ثقافة وتجاربه وذكاؤه وقواه العقلية والمعنوية، أو تحده كذلك تربيته وما نشأ عليه من قواعد أخلاقية وسلوكية، فمن المعروف أن من يولدون في مهاد النعمة وبيوت الحسب ثم تحسن تربيتهم، يكونون أبعد عن مضار سوء استخدام الحضارة ووسائل التعرف ممن يهجم عليهم الغنى دفعة واحدة فيفقدون توازنهم، ويسيطر عليهم المال ويحرقه تيار الحضارة ويضيع. والإنسان المثقف الذي ثقفت الحياة عقله وقلبه وطبعه وثقف العلم عقله ورفع همته وعاش في إطار حضاري غني بأدوات الثقاف والتهديب، من معاهد علمية وفنية مكتبات ومراكز ثقافية ومسارح وقاعات موسيقى، مثل هذا الإنسان يكون في العادة أقدم على السيطرة على أدوات الحضارة وأقدم على الحفاظ على توازنه من الإنسان الذي ينمو في بيئة خالية من ذلك كله أو فقير فيه، فيتهدى في مهاوي التلف من حانات وملاه مسفة ودعاوى الانزلاق الخلقى دون أن يرى ما فيها من مضار⁽¹⁰⁾.

والتي يعتبرها مالك بن نبي هي العلمية التي فرغنا من وصفها فيما تتصل بفكرة الزمن، يمكن في قليل أو كثير أو تعطينا فكرة عن كيفية تعريف (وحدة) أخرى كالثقافة مثلا، الواقع أن فكرة (ثقافة) كما بين أن قولنا فكرة حديثة جاءتنا من أوروبا الكلمة التي أطلقت عليها هي نفسها صورة حقيقية للعبقرية الأوروبية. فمفهوم (ثقافة) ثمرة من ثمار عصر النهضة، عندما شهدت أوروبا في القرن السادس عشر انبثاق مجموعة من الأعمال الأدبية الجليلة في الفن في الأدب في الفكر⁽¹¹⁾. ويقول مالك بن نبي في هذا الصدد: "ولكن أوضاع القيم تنقلب في عصور الانحطاط لتبدوا الأمور ذات خطر كبير، فإذا ما حدث هذا الانقلاب انهار البناء الاجتماعي، إذ هو لا يقوى على البقاء بمقومات الفن والعلم فحسب، لأن الروح تتيج للإنسانية أن تهض وتتقدم، فحيثما فقد الروح سقطت الحضارة وانحطت"⁽¹²⁾.

وهكذا يتضح لنا أن الوعي التاريخي عند مالك كان واضحا في مواقفه النقدية إزاء الحضارة الغربية قوله بضرورة مراعات البعد

نسبي)، فإننا نزهنا بقدر ما تحقق له من العناصر التي ذكرناها أو نحترمه منها أو من بعضها⁽⁷⁾.

أما عن قياس الحضارات على أساس ما لدى أهلها من أدوات الحضارة المادية أو الفنية أو الآلات وما وصلوا إليه من مستوى عال في العلوم والفنون، فإن المخترعات والمبتكرات والكماليات كثيراً ما تكون أعباء على الإنسان وقيودا عليه تحد من حريته وتحرمه من العيش السعيد.

ولقد أصبحت التنمية الشغل الشاغل الهم الرئيس للإنسان العادي المتطلع دائما أبدا لتطوير بلده، فالتنمية البشرية تستهدف إلى التحسين المستمر لرفاهية السكان خاصة الناحية العقلية النفسية الاقتصادية الاجتماعية الثقافية السياسية قطاع التربية، والتعليم هو الركن الأساسي لهذا جاءت التنمية الماليزية بحلول لمشاكلها في التعليم المتمثل فيما يلي⁽⁸⁾:

1 - التزام الحكومة بمجانبة التعليم الحرص على تمويله.

2 - السعي إلى تخفيض كلفة الدراسة.

3 - العناية بالبيئة الدراسية للطلبة.

4 - توظيف التعليم الجامعي لخدمة اقتصاد الدولة.

5 - فتح مدارس ذكية على غرار ما هي موجودة في ماليزيا.

الاهتمام بالتعليم الإلكتروني.

4. الانعكاس الفكري على الحضارة الماليزية:

استطاعت ماليزيا في مجال التعليم تتولى الحكومة الفدرالية مسؤولية تمويل التعليم اذا حرصت الحكومة على تقديم خدمات التعليم الأساسية مجاناً، بلغ حجم دعم الحكومة الماليزية للتعليم في المتوسط إلى (20.4%) من الميزانية العامة للدولة.

وإن إسهامات اللغة الأدب في البناء الحضاري لأي أمة لا يمكن أن يتفاعل عنها، لا يجدها إلا مكابر، ولذا ينبغي أن يمتد الحديث من إسهامات اللغة العربية أداها إلى إسهامات لغات الشعوب المسلمة غير العربية في تشكيل ثقافتهم الإسلامية⁽⁹⁾.

فالحضارة إذا حصانة لحياة الإنسان، فيها تأمين على مصيره توفير لاحتياجاته وحفاظ على شخصيته الوطنية الدينية.

لجامعات أجنبية أما عن تعليم اللغة العربية في مؤسسات التعليم العالي فتوجد 06 جامعات حكومية تمنح شهادات في تخصص اللغة العربية، هي⁽¹⁴⁾ الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا (IIUM) الجامعة الوطنية الماليزية (UKM) جامعة مالايا (UM) وجامعة العلوم الإسلامية الماليزية (USIM) جامعة بوترا الماليزية (UPM) جامعة سلطان إدريس للتربية (UPS) أكثرها اهتماما باللغة العربية الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

تمثل ماليزيا منهجا تطبيقيا لأفكار مالك بن نبي، إذا بنت حضارتها في العصر الحديث على أسس أفكار قواعد مستوحاة من الفكر العالمي الذي اتسمت به أفكار مالك بن نبي.

6. تاريخ الحضاري لماليزيا:

تعد ماليزيا دولة إسلامية ذات مقومات كبير حققت خلال العقود الأربعة الماضية، قفزات هائلة في التنمية البشرية الاقتصادية إذا أصبحت الدولة الصناعية الأولى في العالم الإسلامي فضلا عن أنها الأولى في مجال الصادرات الواردات في جنوب شرق آسيا، تمكنت من تأسيس بنية تحتية متطورة فضلا عن تنوع مصادر دخلها القومي من الصناعة الزراعة المعادن النفط السياحة حققت تقدما في ميادين معالجة الفقر البطالة الفساد تخفيض نسب المديونية.

ويرصد الدكتور عبد الفضيل تجربة التنمية في ماليزيا من خلال البعد التاريخي مدى تطور التنمية في هذا البلد، فيذكر أنه بعد أن حصلت ماليزيا على استقلالها في العالم 1958 اتجهت استراتيجيتها للتنمية إلى الإحلال محل الواردات في مجال الصناعات الاستهلاكية التي كانت تسيطر عليها الشركات الأجنبية قبل الاستقلال، قد استفادت ماليزيا من الانفتاح الاقتصادي الكبير على الخارج عبر اندماجها في اقتصاديات العولمة مع الحفاظ على ركائز تنمية اقتصادها الوطني، نرى مظاهر التقدم واضحة من خلال تحولها من بلد يعتمد بشكل أساسي على الزراعة إلى بلد مصدر للسلع الصناعة التقنية خاصة في مجال الصناعة الكهرو بائية الإلكترونية، فتقرير التنمية البشرية الصادرة عن البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة لعام 2001 الذي رصد أهم الدول المصدر للتقنية في العالم كانت ماليزيا في المرتبة التاسعة متقدمة بذلك على كل من إيطاليا السويد، كما كانت تجربتها الفاتحة النجاح في مواجهة الأزمة الاقتصادية لعام 1997 والتي واجهت دول جنوب شرق آسيا برمتها غير دليل على البرنامج الناجح الذي انتهجته من خلال التزامها بتنفيذ خطة عمل وطنية فرضت من خلال قيود مشددة على سياستها النقدية، وأعطت البنك المركزي صلاحيات واسعة لتنفيذ خطة طوارئ لمواجهة هروب رأس مال وجلب النقد الأجنبي إلى

الإنساني في الجوانب التنموية، فقد دخل العالم مرحلة لا يمكن أن تحل فيها أغلبية مشكلاته إلا على أساس نظم الأفكار، في مرحلة كهذه يتحتم على البلاد العربية الإسلامية أن تولي أكبر قدر من اهتمامات لمشكلة أفكارها، خاصة تلك البلاد التي لا تملك كثيرا من أدوات القوة المادية، ويهدف مالك بن نبي في صياغة رؤيته إلى ضرورة الاهتمام بالإنسان وتفعليله فهو الذي يعول عليه في الانتقال من أجواء التخلف إلى أجواء التطور والقيادة الحضارية، ويعتمد في ذلك على جملة معارف تاريخية وفكرية وأخلاقية ومادية ترجع إلى أشهر المفكرين و الكتاب أمثال ابن خلدون، وتوينبي، والاكويبي، وماركس. ولا يعني أنه يمثلها ويتبناها إنما يقوم السالب عنها ويستفيد من الموجب فيها⁽¹³⁾. كما سوق مالك بن نبي مجموعة من النصوص الذي تأخذ من البعد النفسي للإنسان ورعايته وتنميته ما يحفظ توازنه ويعمل على الارتقاء به.

فقد شكل ظهور الهيمنة الحضارية الغربية بداية في ثقافتنا العربية، فولدت لدينا حديثا عن التراث الأصالة الحدائث التقليدي، جعلت من ثقافتنا العربية ثقافة هامشية غربية عن الحضارة عن الأصالة، فقد وضع أسس الكونية (العالمية) الغربية كعلامة ملازمة للحاضر المستقبل.

مما لا شك فيه أن الحديث عن النهضة العربية المشاريع الإصلاحية العربية هو مجرد حديث عن وعي تاريخي يتجه نحو مرمي وهدف لم يصيبه بعد، في هذا الإطار داخل دائرة الوعي ما تزال تعاني من استمرار تأخرنا التاريخي، فنحن مدعوين في إعادة التفكير في مشروع النهضة العربية المرتقبة، الوحدة التقدم صناعة التاريخ، إننا نريد أن نسهم في قراءة جديدة للكتابة النهضوية طموحات المصلحين العرب ذلك يكون من خلال حوار مع واقعنا تاريخنا القريب. من أجل بناء الأسس المفاهيم التي تعني ضرورة الفكر صياغته.

5. تأثير الفكر مالك بن نبي على النهضة الحضارية الماليزية (تطبيق):

ولقد عني المفكرون الباحثون بأبرز أثر العامل اللغوي الأدبي في البناء الحضاري الإنساني، حظي الموضوع باهتمام دولة ماليزيا في مشاريعها خططها الحضارية التطويرية ذلك ينشر المدارس الدينية العربية في جميع الولايات الماليزية معتمدة على التبرعات المالية أموال الأوقاف الزكوات من المسلمين، ثم بادرت وزارة التربية الماليزية بإنشاء مدارس ثانوية دينية وطنية (SMKA) في جميع أنحاء البلاد في عام 1988م، أما عن التعليم العالي ففي ماليزيا مؤسسات تعليمية عالية تبلغ عشرين 20 جامعة حكومية، بما فيها الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا 32 جامعة خاصة منها خمسة 05 فروع

بالحضارة، فإنه ينبغي لنا أن نلاحظ بأن صلة الفرد بالحضارة أو مكانه منها هي في ثلاث مراحل: فالإنسان إما أن يكون قبل الحضارة، إما أن يكون في الحضارة، أما أن يكون قد خرج من الحضارة .

إننا حينما ندرس قضية الفرد علي هذه الطريقة، فإننا نرى أنه مهما تكن مرحلتنا نحن الأمة العربية من الحضارة اليوم، سواء كنا قبل الحضارة أم بعدها لابد لنا من تشيد حضارة لأن التخطيطات التي دخلت فيها الأمة هي نهاية التحليل تهدف إلى شيء واحد سواء عبرنا عنه أو لم نعبر، هو تكوين حضارة، فحينما نقول أننا نريد أن نكون مجتمعاً يقدم الضمانات الاجتماعية للفرد يؤيد الأمن في العالم، أو أننا نريد أن ندرس قضايا مجتمعنا، اقتصادياً كانت أم اجتماعياً فإن شروط وصولنا إلى تحقيق هذا كله هي شروط الحضارة بل إنه لا يمكن أن تتبع هذه الشروط إلا من الحضارة، لا يمكن أن تتحقق إلا في إطارها، فحينما نفكر في مشكلة المصائب التي تصدر عن الفرد تواجهه فلا بد لنا أن نفكر في عودة الفرد إلى الحضارة أو دخلوا له إليها هنا نعلم لماذا نحن الآن نواجه صعوبات خاصة، ذلك لأننا في نقطة انتقال الفرد إلى الحضارة أو رجوعه إليها، لاشك فإن هذا الإنسان بين قوتين: قوى سلبية تريد إرجاعه إلى الوراء باستغلالها طبيعة الاستقرار في الإنسان، قوى إيجابية تدفعه إلى الإمام إلى تحقيق مستقبله، فينبغي ألا تضعف القوى إيجابياً فينا عن الوصول إلى الحضارة⁽¹⁸⁾ .

حيث ترى الدكتورة (نعمت مشهور)⁽¹⁹⁾ أن تجربة التنمية في ماليزيا على هي تجربة ناجحة أنها تجربة اتفقت إلى مدى بعيد مع مبادئ أسس الاقتصاد الإسلامي، فقد اهتمت ماليزيا بتحقيق الشاملة لكل من المظاهر الاقتصادية الاجتماعية، وأوضحت هذا ما يلي:

1- لقد اهتمت ماليزيا بتنمية النشاطات الاقتصادية جميعها، فلم يهمل القطاع الزراعي في سبيل تنمية القطاع الصناعي الوليد أو القطاع التجاري الاستراتيجية جعله السند الداخلي لنمو القطاعات الأخرى.

2- كما اتفقت التنمية الماليزية مع المبدأ الإسلامي الذي يجعل الإنسان محور النشاط التنموي وأداته، مع الاهتمام بتنمية الأغلبية المسلمة لسكان البلاد الأصليين من الملاويين، فنجحت في تحسين مستويات معيشة الأغلبية العظمى من أفراد الشعب كما نوعاً، وخصوصاً مع ارتفاع متوسط الدخل الفردي .

3- كذلك انتهجت ماليزيا استراتيجية الاعتماد على الذات في الاضطلاع بالعبء التنموي سواء البشري أو التمويلي⁽²⁰⁾ .

الداخل، واستطاعت ماليزيا الخروج من ازمته المالية خلال سنتين فقط.

وإن السر في نهضة ماليزيا تنموياً يمكن في عقول أبنائها وسواعدهم يقودها في ذلك قيادة وطنية حكيمة تتمثل بفكر رئيس وزرائها السابق (مهاتير محمد) يعتبر الفكر التنموي محفز لقيادة ماليزيا، وهذا ما نراه في أفكار مالك بن نبي في كتابه⁽¹⁵⁾ (المسلم في الاقتصاد) أن التغيرات التي نشاهد نتائجها بعد مدة طويلة في عالم الاقتصاد أحياناً هي في جوهرها تغيرات حضارية تعترى القيم والأذواق والأخلاق في منعطفات التاريخ فتتغير معالم الحياة بتحول الإنسان نفسه في أرائته اتجاهه عندما يدرك معنى جديداً لوجوده في الكون، فالحضارة تستطيع التعبير عن الاقتصاد على أنه الصورة المحسنة لهذه الإرادة في ميدان خاص هو ميدان الاقتصاد التي عمل بها رئيس الوزراء ماليزيا (مهاتير محمد) لذلك حققت ماليزيا اقتصاداً قوياً معدلات متسارعة في النمو فاقت بها أكثر البلدان.

إن فرصة المجتمع للتطور الارتقاء، وكذا فرصة الإنسانية تكون أكبر كلما زادت التشابك عمق الترابط المتبادل بين بعضهم البعض الآخر، في أطوارها صورة عقلانية مشتركة للمجتمع فهذا هو جوهر الانتماء الإيجابي، هنا تتوحد اللغة أي الفكر تتماثل الأهداف تتكامل الجهود، تتعزز الروابط⁽¹⁶⁾ .

7. التجربة التنموية الماليزية:

كان الاقتصاد الماليزي بسيط جداً إذا اكتشف القصد في ماليزيا في القرن السابع عشر عند استحواد بريطانيا على الأراضي الماليزية، لقد وضحت إحدى الدراسات الإحصائية أن نسبة السكان تحت الفقر في حدود (75) من السكان، مع سير البلد نحو الاستقلال بدأت الحكومية بتنفيذ الخطة الاقتصادية الخمسية لتنفيذ عام (1965) بعد أن جاءت أول حكومة وطنية لتحكم ماليزيا هي مؤمنة بالتغيير التي تمثلت بجهود رئيس الوزراء (مهاتير محمد) الذي قاد ماليزيا نحو التطور فلم تأتي تجربة ماليزيا الحضارية التكنولوجية الاقتصادية من فراغ بل هي نتيجة لجهود القيادة الماليزية التي استفادة من أفكار مالك بن نبي كما نراه في كتابه (تأملات)⁽¹⁷⁾ مازالت أفكاره تحفزنا في السياسة كما تحفزنا في الاقتصاد والاجتماع إلى تأصيل المنهج بناء الثقافة القائمة على توظيف الطاقات الإنمائية في خدمة المجتمع فالأستاذ مالك بن نبي يطرح القواعد الأساسية لفاعلية الإرادة الإنسانية قوتها في صنع الحضارة، فدراساته تضيء لجهود التنمية الاجتماعية الاقتصادية في العالم المتخلف زاوية الفعلية حيث تتناول بناء الإنسان في أطوار ثقافته، نستجيب لمعطيات أصالته، حينما نقول أن كيان الفرد مرتبط بصلته

حينما تجد (مالك بن نبي في كتابه المسلم في الاقتصاد)⁽²³⁾ أن في استطاعة العالم العربي أن يعيد للتراب وظيفته الاقتصادية، ذلك منذ اليوم، بوسائله الموجودة بيده منذ الآن، حتى في الميدان الفني أذ قرر من ناحية أخرى استعادة العقول العربية المغتربة لأسباب مختلفة، منها الأسباب الثقافية التي تتصل بفقدان المسوغات الكفيلة بشد العزائم ورفع الهمم، إلى مستوى المسؤوليات المنوطة بالعلماء المثقفين، في نطاق مشروع شامل تتحدد فيه الأيدي العقول الأموال في الرفعة العربية، أو في أكبر جزء ممكن منها بقدر ما تكتمل فيه شروط الاقتصاد التكاملي، حتى يستأنس الناس، الفادة بوجه خاص بأن الأوطان التي لا تستطيع مواجهة الظروف الاقتصادية العالمية بمفردها، نستطيع الصمود لها النمو، إذا تكافتت عقولهم أيديهم أموالهم في ورشة عمل مشترك من أجل اقتصاد متحرر لا يخضع لضغط خارجي .

ولهذا فقد استطاعت ماليزيا أن تحققه خلال ثلاثة عقود (1970 – 2000) تخفيض معدل الفقر من (52,4 – 5,5) أي عدد الأسر الفقيرة انخفضت بنسبة عشرة أضعاف مما كانت عليه.

أهم الدروس المستفادة من التجربة الصناعية في ماليزيا :

- 1- أن التجربة الصناعية نمت في ظل أنظمة حكم مستقرة أعطت للقطاع الخاص دوره في الحياة الاقتصادية.
 - 2- مثلت اليابان دور قاطرة النمو في ماليزيا إذا شكل التعاون فيها بينهما أساس للنهضة التنموية .
 - 3- التعاون الحكيم من قبل الدولة مع الاستثمار الأجنبي المباشر.
- وتعد ماليزيا بلد نشيطا دائم الحركة بتوفير بيئة العمل المناسبة لجذب الاستثمارات إلى البلد، ذلك لتحقيق العديد من الأهداف من بينها:

- 1- الحصول على مواد الخام من الدولة المستثمر فيها من أجل استخدامه في صناعة ذلك البلد.
 - 2- تحقيق أرباح في الدول المضيفة تفوق كثيرا الأرباح داخل موطنه.
- ولهذا تعد التجربة التنموية في ماليزيا من أحد التجارب الناجحة في مجال التنمية البشرية بين دول العالم الثالث فقد حققت تقدما واضحا في هذا المجال، تعتبر النموذج الأكثر صلاحية للاستفادة من تجربتها في البلدان العربية.

8. خاتمة:

إن الإنسان لا يتغير بوصفه كأننا حيا في حدود التاريخ، إنما يتغير بوصفه كأننا اجتماعيا تفيده الظروف فان التاريخ يعجز عن أن

أيضا اهتمت ماليزيا بتجربة تحسين المؤشرات الاجتماعية لرأس المال البشري الإسلامي سواء كان من أهل البلاد الأصليين أو المهاجرين إليها من المسلمين.

كما تؤكد الدكتورة (نعمت مشهور) وجهت نظرها بأن التجربة الماليزية كانت إسلامية من دون لافتة تحدد هذا الانتماء، مما أدى إلى تحويل دولة صغيرة سريعة النمو مثل ماليزيا، إلى أهم وجود إسلامي في العالم على الإطلاق .

فالفكر غالبا ما يكون ذريا في خطواته الأولى، كما كانت الحال في أوروبا قبل ديكرت كما صارت إليه الحال بعد عصر ابن خلدون في العالم الإسلامي، عندما توقف كل جهد عقلي لكن التراث الثقافي الخطير الذي خلقته الحضارة الإسلامية للحضارة الحديثة، يظل شاهدا على ما كان يتصف به الفكر الإسلامي في عصوره الذهبية⁽²¹⁾.

من هنا ندرك سر القيمة التي حض بها عالم الاجتماع محمد صلى الله عليه وسلم الفضائل الخلقية باعتبارها قوة جوهرية في تكوين الحضارة، لكن أوضاع القيم تنقلب في عصور الانحطاط لتبدوا الأمور ذات خطر كبير، فاذا ما حدث هذا الانقلاب انهار البناء الاجتماع، إذ هولا يقوى علي البقاء بمقومات الفن العلم العقل فحسب، لأن الروح وحده هو الذي يتيح للإنسانية أن تهض تتقدم، فحينما فقد الروح سقطت جاذبية الأرض⁽²²⁾.

لهذا نرى أن الحكومة الماليزية التزمت بالأسلوب الإسلامي السليم في ممارسة مختلف الأنشطة الاقتصادية توجيه الموارد، فقد نمت مسؤولية الأفراد أشركهم عمليا في تحقيق الأهداف القومية، قد أشارت كذلك الدكتورة (نعمت مشهور) إلى أن تبوء ماليزيا لدور بارز في قيادة العالم الإسلامي أمل يمكن أن يصبح حقيقة واقعية إذا ما استكملت الحكومة الماليزية مسؤوليتها، خاصة أن تهتم بتطبيق فريضة الزكاة، خصوصا مع ارتفاع مستويات الدخل الفردية تزايد الثروات التي تجب فيها الزكاة، ذلك مع حماية الثروات الطبيعية التي وهبها الله تبارك تعالی لماليزيا وعدم تفرصها للإبادة التدمير.

لقد واصل (مهاتير محمد) وعلى مدى 22 سنة من حكمه على رص صفوف الشعب المحافظة علي توحيدهم فلا نبالغ إذا أطلق عليه أب الوحدة الماليزية إذا اعتنى بكل شبر من الوطن بكل فرد منهم فكانت مشاريع التنمية تشمل كل الولايات الطوائف لتكون التجربة الماليزية نموذجا يحتذى به في الدول العربية الإسلامية.

وتطورها، الطبعة الثانية، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت سنة 1998.

• المقالات:

11- علي درج، التجربة التنموية الماليزية والدروس المستفادة منها عربياً، جامعة الأنبار، كلية الإدارة والاقتصاد، مجلة جامعة بابل للعلوم المعرفية والتطبيقية العدد 3، المجلد 23 (2015).

12- عبد الحافظ الصاوي، قراءة في تجربة ماليزية التنموية (مقال منشور في مجلة الوعي الإسلامي - دولة الكويت، العدد 451، الشهر 5 السنة 3).

13- رقية بوسنان، تكامل الرؤية المعرفية في تصور عناصر بناء الحضارة عند مالك بن نبي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر 2004.

هوامش:

1 - طاهر سعود، التخلف التنموية في فكر مالك بن نبي، دار الهادي بيروت لبنان، (2006)، ص 120.

2 - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، سوريا، ط 9، (2009)، ص 61.

3 - مالك بن نبي، تشكيل العقل الحديث، ص 54.

4 - مالك بن نبي، الإسلام ومشكلات الحضارة، ص 8.

5 - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص 13.

6 - د حسين مؤنس، الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها. الطبعة الثانية. سلسلة كتب ثقافية شهرية بصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت سنة 1998، ص 161.

7- المرجع نفسه، ص 59.

8 - التجربة التنموية الماليزية الدروس المستفادة منها عربياً، علي درج، جامعة الأنبار/ كلية الإدارة والاقتصاد/ مجلة جامعة بابل للعلوم المعرفية التطبيقية العدد 3 المجلد 23 (2015م).

9 - إسهامات اللغة الأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية، رئيس التحرير أ د أحمد شيخ عبد السلام الجزء الثالث ط 1 (2008) كلية معارف الوحي العلوم الإنسانية الجامعة الإسلامية ماليزيا ص 9.

10 - د حسين مؤنس، الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها. ص 161.

11 - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص 25.

12 - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي. ص 30.

يغير شعرة واحدة في الإنسان، لكنه يستطيع أن يزيد أو ينقص من ميزاته الاجتماعية، ففاعليته من ناحية المنطق العملي، في رأيه أنه ينبغي للقرن 20 أن ينظر إلى الأشياء هذه النظرة، ينبغي أن ينظر إلى المشاكل الاجتماعية من زاوية الفعالية ليس معنى هذا أننا نفعل في الإنسان جوانبه الأخرى، بدعوى أنه قبل كل شيء آلة أنتاج وجهاز إنتاج، فان معنى كلمة فعالية تتيح إلى التضييق من معنى إنسانية الإنسان إلى حدها، كثير ما نرى في منطق الغربيين حينما يتوجهون إلى خصومهم بالنقد مثل هذه الملاحظات إذ نجدهم يقولون لهم إنكم تريدون أن تجعلوا من الفرد آلة إنتاج، فالإنسان في التصور الإسلامي هو سيد هذه الأرض، بخلافته فيها عن الله وكل ما فيها مسخر له، بقدره الله تعالى، وقد أوتي إمكان العلم بشؤونها هبة من الله سبحانه، والاستمتاع بطبيعتها وجمالها، نعمة من خالصه. كل هذا مهياً للإنسان في بناء خلافته في إطار المنهج الذي رسمه الله لحياته

﴿وَلِكُنَّا كَثْرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، يَغْلُمُونَظَهْرًا مِمَّا آخِذُوا الدُّنْيَا...﴾⁽²⁴⁾ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽²⁵⁾

9. المصادر والمراجع :

• القرآن الكريم

• الكتب:

- 1- إسهامات اللغة الأدب في البناء الحضاري للامة الاسلامية، رئيس التحرير أ د أحمد شيخ عبد السلام الجزء الثالث ط 1 (2008) كلية معارف الوحي العلوم الإنسانية الجامعة الإسلامية ماليزيا.
- 2- طاهر سعود، التخلف التنموية في فكر مالك بن نبي، دار الهادي بيروت لبنان (2006).
- 3- مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد دار الفكر سوريا ط 9 (2009).
- 4- مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ط 3 (1420هـ-2000)
- 5- مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر سوريا ط 1/ (1978)
- 6- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر سوريا ط 1/ (1986)
- 7- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر سوريا ط 4 (1984)
- 8- كرين برينتون، تشكيل العقل الحديث، تر شوقي جلال، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت سنة 1984
- 9- مايكل كريدريس، لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟ الثقافات البشرية: نشأتها وتنوعها، تر شوقي جلال، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت سنة 1998
- 10- حسين مؤنس، الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها

-
- 13- د. رقية بوسنان، تكامل الرؤية المعرفية في تصور عناصر بناء الحضارة عند مالك بن نبي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر ص24.
- 14 - المرجع السابق، ص23.
- 15 - مالك بن نبي، المسلم في الاقتصاد، ص24.
- 16 - مايكل كريدارس، لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة، تر شوقي جلال، ص67.
- 17 - مالك بن نبي، تأملات، ص08.
- 18 - المرجع السابق، ص:57.
- 19 - ينظر: عبد الحافظ الصاوي، قراءة في تجربة ماليزيا التنموية (مقال منشور في مجلة الوعي الإسلامي – دولة الكويت، العدد 451 الشهر 5 السنة 3، ص5.
- 20 - المرجع السابق، ص8.
- 21 - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص18.
- 22 - المرجع السابق، ص31.
- 23 - ينظر: مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ط3 (1420هـ – 2000م) ص:74.
- 24 - سورة الروم، الآية:6-7.
- 25 - سورة الإسراء، الآية:85.